البنـــاء
السنة السابعة / الخميس / 8 تشرين الأول 2015 / العدد 1902
Seventh year / Thursday / 8 October 2015 / Issue No. 1902

تحذير أردوغان لروسيا: مَن الذي يخسر؟

■ حميدي العبدالله

حذّر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان من أن تخسر روسيا علاقاتها الطيبة مع تركيا، جاء هذا التحذير في أعقاب اختراق طائرات حربية روسية للأجواء التركية مرتين، حسبما قالت السلطات التركية، ومرة حسبما قالت وزارة الدفاع الروسية.

لكن مَن الذي سيتضرّر أكثر فيما لو تدهورت العلاقات الروسية – التركية؟ الرئيس التركي قال إنّ روسيا سوف تخسر الكثير إذا تدهورت العلاقات الروسية التركية، ولكن، هل هذا التقدير صحيح؟

من الواضح أن علاقات تركيا، مع غالبية دول المنطقة، وحتى مع دول الاتحاد الأوروبي هي علاقات إما أنها سيئة مثل علاقات تركيا مع سورية والعراق ومصر وليبيا، أو أنها علاقات فاترة، كما هي علاقات تركيا مع إيران واليونان وأرمينيا وقبرص، وبالتالي فإن أي تدهور بالعلاقات الروسية التركية لن يلحق الأذى بروسيا سياسياً، لأن تدهور العلاقات الروسية التركية ستكون نتائجه طيبة بالنسبة للدول العربية ودول المنطقة المتضرّرة من السياسة التركية، فتركيا هي التي بحاجة لروسيا وليس العكس، وبالتالي كان يمكن أن يكون تحذير الرئيس التركي جدياً فيما لو كانت علاقات تركيا مع هذه الدول العربية علاقات إيجابية، وتركيا ممرّ إجباري لإقامة علاقات مع هذه الدول، ولكن الواقع هو عكس ذلك، أي أن تركيا هي التي تعاني من عزلة سياسية، فهي عرضة لانتقادات أميركية وأوروبية على خلفية مستوى تعاونها لضبط حدودها والتنسيق والتعاون مع الحكومات الغربية في مواجهة الإرهاب، وتتهم من قبل دول الاتحاد الأوروبي بتشجيع الهجرة وإغراق أوروبا بالمهاجرين عقاباً على رفضها إقامة مناطق آمنة في سورية ومجاراة السلطات التركية في مواقفها، كما أن علاقاتها متوترة مع الغرب على خلفية انتهاكها حقوق الإنسان والاعتداء على الحريات التي تنص عليها قوانين الاتحاد الأوروبي.

هذا على المستوى السياسي، أما على المستوى الاقتصادي فإن الميزان التجاري بين روسيا وتركيا هو في مصلحة تركيا، كما أن تركيا تحصل على الغاز من روسيا بأسعار أقل بعشرة في المئة من أسعار الأسواق العالمية، وإذا ما تدهورت العلاقات التركية الروسية فإنها سوف تنعكس بالضرورة على علاقتهما الاقتصادية ومن شأن ذلك أن يُلحق ضرراً بتركيا أكبر من الضرر الذي يطال روسيا.

في ضوء كل ذلك يبدو أن تحذيرات أردوغان، إما أنها مجرد لغو كلامي في موسم الانتخابات، أو أنها تصريحات غير مسؤولة وغير مدروسة وغير مدركة لما يترتب عليها، إذا وضعت موضع التطبيق.

غارات روسية تمزّق أوراق واشنطن وانتفاضة تطعن صدر «أوسلو»...

■ سعدالله الخليل

بعيداً عن التهديد والوعيد وبيانات الاستنكار والتنديد التي لا تقدِّم ولا تؤخِّر في عالم السياسة والعلاقات الدولية ومجريات الأحداث في القضايا الهامشية الطارئة، فكيف إذا كانت بحجم مواجهة مصيرية كتلك التي تدور على الأرض السورية، والتي يترتب على نتائجها مصير دول وأنظمة وأسواق عالمية، وترسم ملامح حراك سياسي واقتصادي وتحالفات لعقود من الزمن، وهو ما يفرض على اللاعبين استنفار كل طاقتهم وزجّها في المواجهة التي بدا أنها لم تعُد تحتمل القسمة على اثنين، خاصة بعد الدخول الروسي المباشر على خط المواجهة، وهو ما حدا بصانعي القرار السياسي للاستثمار بالكلام المفيد على الأرض بعيداً عن أجواء الإعلام ومتعة الاستعراض الكلامي.

أربكت الغارات الروسية خصوم دمشق والمخططين للحرب عليها، وأعادت ترتيب حساباتهم، فنسفت الغارات الروسية خطط الحرب التي أعلنوها على تنظيم «داعش» بسنواتها العشر، والتي توحي بأن واشنطن وحلفاءها ينفذون جراحات تنظيرية غاية في الدقة تستهدف التنظيم لضمان القضاء عليه، وأظهرت بأن ما تقوم به غارات التحالف لا تتعدّى مداعبة التنظيم الإرهابي وتقليم أظافره في أفضل الحالات.

بعد عام من الغارات الأميركية على تنظيم «داعش» التي لم تطَل مدينة الرقة معقل التنظيم الرئيسي في سورية بانتظار الغارات الروسية، والتي دفعت بواشنطن للإعلان عن تحضير خطط لاستهداف الرقة، بحسب ما سرّبته صحيفة «نيويورك تايمز» عن خطة أميركية بدعم القوات المعارضة للضغط على الرقة، وهو ما يطرح تساؤلات عدة عن سرّ الانتظار الأميركي للشروع في خطط كهذه بخاصة أن وحدات الحماية الكردية التي تشكل العصب الأساس في خطة أوباما المزعومة هي منذ أشهر على مشارف الرقة، فلماذا انتظار الغارات الجوية الروسية لإطلاقها، وهل يحتاج ضرب التنظيم في الرقة إلى أشهر من التخطيط فيما طائرات التحالف تجوب أجواء الرقة، فما الذي يمنعها من استهداف مقار قيادة التنظيم لتطلق موجة هجرة الدواعش باتجاه الأراضي التركية، كما فعل الروس؟

ربما ما أقلق البنتاغون وأخّر خطط المواجهة كثرة سيارات «الجيب» و«البيك أب» من طراز «تويوتا» لدى التنظيم، والتي دفعت مسؤولو مكافحة الإرهاب الأميركيون، للطلب من شركة «تويوتا» المساعدة في الكشف عن المصدر الذي يحصل منه تنظيم «داعش» على تلك السيارات، وقد غاب عن ذاكرة مكافحي الإرهاب الأميركي بأنّ مبيعات شركة تويوتا – تركيا حققت قفزة خلال العام الماضي في الصادرات لتحقق أعلى نسبة صادرات، بحسب بيانات رابطة صناعة السيارات التركية، وارتفعت مبيعاتها بمعدل 3.7% خلال الشهر الأول من العام الحالي، ومما غاب عن ذاكرة واشنطن بأن السعودية تحتل المركز الثالث في قائمة مستوردي السيارات الكورية بعد أميركا وروسيا.

الدخول الروسي المباشر في المنطقة والذي يشكل بداية انهيار الاحتكار الأميركي للقوة، يرسم خطوط إعادة التوازن للسياسة العالمية. وكما أنعشت الغارات الروسية الآمال بقرب الانفراجات في المشهد السوري فإنها فعلت فعلها في الشارع الفلسطيني، الذي يواجه حرباً مفتوحة مع عدو قرأ في ظروف المنطقة فرصة مواتية للسير في مشروعه حيال «الأقصى»، قبل أن تفاجئه الغارات كما فاجأت رعاته في واشنطن، وهو ما تلقفه الشارع الفلسطيني ليشعل انتفاضته الثالثة بعد أن غسل يديه من كل القوى السياسية والفصائل الفلسطينية، متسلحاً بسلاحه التقليدي ــ الحجر ــ وزاد عليه هذه المرة السلاح الأبيض يطعن به صدور جلاد تمرّس بإذلاله في السجون وعلى الحواجز الأمنية، وزادت أقبية مقار السلطة في طنبور المعاناة الفلسطينية نغماً، ولتكون السكاكين الحل الوحيد المتاح في أيدي شبان وشابات فلسطين في الضفة والقدس ونابلس والبيرة، تواجه جنود العدو ومستوطنيه والتنسيق الأمني لسلطة محمود عباس الموظف في شركة الدول المانحة.

سكاكين دفعت العدو للإعلان عن استخدام قريب لطائرات من دون طيار في الضفة الغربية لمواجهة انتفاضة السكاكين والحجارة والتي لم يستخدمها يوم تساقطت القذائف والصواريخ على مستوطناته إبان العدوان على قطاع غزة.

كما مزّقت الغارات الروسية أوراق واشنطن في سورية ها هي تلهب صدور الفلسطينيين لإطلاق انتفاضة تمزق التفاهمات وتطعن صدر اتفاق أوسلو.

«توب نيوز»

العراق بين روسيا وأميركا

– عندما بدأ التموضع الروسي العملاني في سورية عرف الأميركيون أنّ المعادلات المعلنة التي وضعوها للانتصار بتلازم جبهتي العراق وسورية، وتلازم الحرب البرية والغارات الجوية قد جرى حلهما من الروس قبل التموضع.

– بدا صعباً على واشنطن طوال عام حلّ هاتين المعضلتين، فالتلازم بين سورية والعراق يعني تعاوناً مع الجيش السوري والرئيس بشار الأسد، ويعني شمول الحرب مكوّنات «القاعدة» جميعاً، وفي مقدّمتها «جبهة النصرة»، وهذه ممنوعات أميركية.

– في المقابل تلازم الحرب البرية مع الغارات الجوية يستدعي تحديد قوة برية مستعدّة وقادرة على القتال في سورية بوجه «القاعدة» بمنوّعاتها، وهذا يعني التسليم بالدور القيادي للجيش السوري والرئيس السوري.

– جاءت موسكو وبيدها مفاتيح الحلّ، فهي من موقع القانون الدولي تقول لا يحق لأحد تبرير تخطي سيادة الدول بذريعة الحرب على الإرهاب، وقالت إن الحرب في سورية تخاض تحت راية التعاون مع الرئيس والجيش.

– سلمت موسكو بشرعية الدور الأميركي في العراق وقانونيته، لكنها نجحت عراقياً بتشكيل غرفة عمليات مشتركة وفقاً لمبدأ التعاون مع الحكومة والجيش.

– ربحت موسكو إطار الحرب، وبدأت واشنطن تخسر العراق...

التعليق السياسي

أسئلة الى نتنياهو عن الوسام الصفوي وعصابات البقاء؟

■ نارام سرجون

لماذا لا يجد نتنياهو ما يشكو منه أمام العالم إلا ما تفعله إيران... في مرة سابقة جاء برسم القنبلة النووية الإيرانية التي قاربت على الانتهاء ما لم يوقف مشروع إيران النووي... واليوم رفع نتنياهو في الأمم المتحدة كتاب الإمام الخامنئي (الذي يوصف في أدبيات الثوار العرب والمجاهدين بالمجوسي الصفوي الرافضي)... وهو الكتاب الذي يهاجم فيه الخامنئي «إسرائيل» ويحضّ على حربها ويشرح فيه فقه رفضها والجهاد ضدّها؟

الجواب لا يهمّني أن أشرحه ولا أن أدخل في تفاصيله التي صار حتى الأعمى يراها وحتى المخلوقات الفضائية صارت تعرفها، أما المخلوقات العربية المجاهدة الإسلامية ذات العيون الجريئة فلا تعرفها. ولكن من حقنا أن نسأل أسئلة ربما في ثناياها وفي شارات استفهامها شيء يحرج ذوي الألباب من جماعة «حي على الجهاد في سورية» التي تحمل الأسماء الطنانة النبوية والإسلامية، فتح الاسلام، وجيش الإسلام، وأجناد الإسلام، وألوية الفرقان، و«الإخوان المسلمين»، ودولة الخلافة، الخ...

لماذا لم يجد نتنياهو في كلّ العالم العربي والإسلامي كتاباً واحداً يحرّض على «إسرائيل» ويثير قلقها إلا كتاب المرشد الأعلى في إيران كي يرفعه أمام العالم في نيويورك ليظهر التهديد الوجودي على «إسرائيل»؟ أليس للمرشد الأعلى لـ«الإخوان المسلمين» أو لأيّ مرشد صغير منهم أيّ اجتهاد يخصّ «إسرائيل» كي يتسلح به نتنياهو، فيتباهى الإسلاميون بكتابهم وجهادهم الذي زلزل راحة نتنياهو؟ لماذا استعصى على نتنياهو ان يجد كتاباً واحداً من منشورات «الإخوان المسلمين» التي تطبع منذ عشرات السنين يخصّص «إسرائيل» بصفحة واحدة؟

لماذا لم يجد نتنياهو أو أيّ إنسان كتاباً سعودياً واحداً لكاتب سعودي أو صحافي أو شيخ من شيوخ الحرم المكي منذ نشوء المملكة الوهابية يتحدّث بعدوانية ضدّ «إسرائيل» رغم أنّ السعودية طبعت ملايين الكتب تحرّض على المسلمين الشيعة والقوميين العرب ونشرت ملايين النشرات والصفحات لتجنّد مجاهدين لقتال أهل العراق وقتال الروس وقتال السوريين وحتى دعم الايغور الصينيين؟ شيء يثير العجب أنه لا توجد صفحة واحدة في كل الدنيا مطبوعة على نفقة السعودية فيها تحريض على «إسرائيل» منذ قيام «إسرائيل»؟

كيف لم يجد نتنياهو منشوراً واحداً من منشورات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يثير قلق «إسرائيل» أو احتجاجها فيعرضها على العالم؟ ولم يجد سطراً واحداً من مذكرات الملك حسين (مهنتي كملك) ضدّ «إسرائيل» ولم يجد في كلّ ما طبعته المملكة الهاشمية وكلّ البلاط الملكي «لحفيد النبي» منذ نشوئه والمشرف على المسجد الأقصى سطراً واحداً يريه للعالم على أنه مصدر قلق لـ«إسرائيل».

لماذا لم يجد نتنياهو في كلّ مطبوعات الخليج العربي المحتلّ منذ وجوده – وهي بالمئات – شيئاً يثير قلقه أو سطراً جهادياً ضدّ «إسرائيل»؟ كلّ الشيوخ والأمراء وقادة «الربيع العربي» الذين تمّ تخريجهم في أكاديميات قطر و«الجزيرة» للثورات لم تنشر تحت رعايتهم قصيدة أو خاطرة ضدّ «إسرائيل» يأخذها نتنياهو ويبيعها في الأمم المتحدة.

لماذا لم يجد نتنياهو ورقة واحدة وقّع عليها أبو بكر البغدادي يهدّد بها «إسرائيل» ولو من باب رفع العتب، وهو الاسم الذي يرعب العالم بإرهابه ويمكن استثمار اسمه في بزنس جمع التعاطف والتبرّعات؟

لماذا لم تجد كل عيون نتنياهو ورادارات الفكرية ورقة واحدة تنقل عن الجولاني سطراً واحداً عن العداء لـ«إسرائيل» يمكن بها لنتنياهو أن يقول إنّ فرع «القاعدة» في سورية يريد بنا شراً وما أدراك ما القاعدة، وهذا هو الدليل؟

بل لماذا لم يجد نتنياهو كلمة واحدة مندسّة في أدبيات حزب العدالة والتنمية تتسلّل الى فلسطين أو تتذكر أنّ فلسطين مسؤولية عثمانية كما هي حلب والموصل ويستطيع نتنياهو بها ان يقول إنّ اسلاميّي العالم يريدون بنا شراً واسترداد فلسطين كما يحاولون استرداد حلب والموصل؟ الغريب أنّ «إسرائيل» غابت تماماً منذ نشوء تركيا الجمهورية الى تركيا الإسلامية الأردوغانية إلا في كتاب صفر مشاكل لداود أوغلو الذي اعتبر أنّ المشاكل مع «إسرائيل» صفر مثل كلّ المشاكل، وبالطبع هي المشكلة التركية الوحيدة التي كانت صفراً وبقيت صفراً وستبقى صفراً الى الأبد من دون نقاش.

عجيب أمر هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف والمتلاطم بأمواج المشايخ واللحى والمؤمنين والمؤمنات أنك يمكن أن تجد ديناصوراً حياً يسعى فيه ولكن لا يمكن أن توجد فيه ورقة واحدة ضدّ «إسرائيل» تلوكها أسنان نتنياهو في الأمم المتحدة ويتسوّل بها؟ انّ كلّ ما ذكرت أعلاه لم تصدر عنهم ورقة واحدة طوال سبعين عاماً موجهة ضدّ «إسرائيل».

تخيّلوا أنه حتى في أدبيات السلطة الوطنية الفلسطينية – وهي المعنية الأولى بفلسطين – لا يوجد شيء يخيف «إسرائيل»، وعندما تختلف سلطة أبو مازن مع «إسرائيل» تحسّ أنك تقرأ في بيانات السلطة منشورات بلدية من بلديات عسقلان وهي تحتجّ على قرار حكومي للدولة العبرية، أو في أحسن الأحوال احتجاجات حزب من أحزاب البيئة «الإسرائيلية» على نسبة التلوث دون زيادة أو نقصان، من مثل عبارات انّ الوضع متأزم وانّ هذا لن يفيد عملية السلام؟ حتى في أوراق حماس الجديدة (نسخة مشعل وهنية) ذابت «إسرائيل» مثل فصّ الملح في فيضان «الربيع الإسلامي»، ولم يتمكن نتنياهو من إبراز ورقة حديثة

من مكتب خالد مشعل أو اسماعيل هنية تحرّض فيها حماس العصرية على «إسرائيل»، بل انّ كل بيانات حماس المحدثة صارت تشبه نشرات الطقس عن احتمال هطول زخات رعدية من الأمطار أو أنّ الطرق السياسية غير سالكة، على العكس فإنّ خصوم نتنياهو يرفعون في وجهه في الكنيست اتفاقات وتعهّدات حماس بالتهدئة مع «إسرائيل» لربع أو نصف قرن كامل ويعتبرون ذلك خيانة من نتنياهو الذي لا يجب أن يقبل أيّ عرض من حماس سوى التبرّؤ من فلسطين.

بالرغم من أنّ العلاقة التراثية هي الوحيدة التي يجب أن تربطني بالسيد علي الخامنئي باعتبار أنّ جميع فلاسفة المسلمين هم من الفرس – باستثناء وحيد هو الكندي – فإنه لا تربطني بالسيد علي الخامنئي شخصياً وعقائدياً وايديولوجياً إلا شراكة صفحات الكتاب الذي حمله نتنياهو، أيّ الاحساس بأنّ «إسرائيل» لوثة وخطيئة أخلاقية وإنسانية ويجب أن يتمّ تصحيح هذه الخطيئة، لأنّ كلّ ما يحدث في الشرق، وكلّ هذا الهدم والدم هو بسبب «إسرائيل» ومن أجل «إسرائيل»، وسنبقى ندفع ثمن هذه الخطيئة حتى يتمّ تصحيحها، ولا شيء آخر يربطني به على المستوى الشخصي، ولكن في صفحات ذلك الكتاب عن فلسطين يقترب السيد علي الخامنئي من عقلي ومن قلبي، وأقترب من قلبه وعقله، وأنحني احتراماً لاحترام الذات واحترام العقيدة والشجاعة في قول الحق وتجنب الرياء والنفاق واحتراماً للرجل الذي يخيف «إسرائيل» حتى بكتاب، هذا النوع من الكتب والمنشورات والانسجام بين الممارسة والسياسة والكلام هي التي تربطني بأيّ شخص في العالم وليس لون عمامته ولا حجمها ولا وسعها ولا ارتفاعها ولا نوع الأدعية ولا لون القباب، وهي التي تقرّر لي يقيني من شكي بإخلاص الرجال لمبادئهم، وهي الأوسمة على صدور الرجال وصدور الأمم.

والى أن يرفع نتنياهو كتاباً آخر لمسلم آخر أو عربي آخر في أيّ منبر في العالم لا بدّ أن أقول بأنّ بعض الفرس الصفويين لا شك أصدق من كثير من العرب (جماعة كنتم «خير أمة أخرجت للناس»)، وأخشى أن أقول بأنهم منسجمون مع أنفسهم أكثر من كثير من المسلمين، وأنّ هؤلاء الذين يسمّيهم الثوار بالصفويين المجوس الكفار والروافض هم ما يخشاه نتنياهو ولا ينام الليل بسببهم ويقرأ كتبهم كلها حرفاً حرفاً، وليس بين جميع المؤمنين والمؤمنات والمجاهدين والمجاهدات من يخشاه نتنياهو أو يقرأ له، وليس بين جميع ملوك العرب وشيوخ العرب وكلّ تكبيرات العرب ومؤلفات العرب ما يخشاه نتنياهو.

لذلك محبتي واحترامي الى كلّ الروافض والمجوس والصفويين الذين يخيفون «إسرائيل» من أيّ عقيدة وانتماء في العالم، وإنْ كانوا من السيخ والبوذيين، واحتقاري – كلّ احتقاري – لكلّ العثمانيين والوهابيين و«الإخوان المسلمين» الذين يطمئنون «إسرائيل»، هؤلاء الذين لا شك أنهم لا ينتظرون الا محبة وتحية نتنياهو لهم الذي سيرفع في المرة المقبلة شعار «رابعة» لـ«الإخوان المسلمين» مكافأة لهم أو شعار (باقية) للدولة الإسلامية الداعشية الذي يشبه شعاراً شهيراً يقول (انّ اسرائيل وجدت لتبقى)، ومنه جاء شعار الإسلاميين عن دولتهم داعش بأنها (باقية).

وعصابة (باقية) تلتقي مع عصابة (وجدت لتبقى) في العداء للصفويين والمجوس والروافض وكلّ أحرار العالم الذين لا شك يستحقون الانتصار على العصابتين وعلى كلّ العصابات التي تسير معهما وتمشي في طريقهما، وسحقاً للخونة والمرائين والمنافقين وانْ كانوا من أقحاح العرب وأقحاح المسلمين.

التقرير الأسبوعي لمراكز الأبحاث والدراسات الأميركية

موسكو تفرض حضورها القوي وترسخ منطق القطبية التعدّدية عالمياً

روسيا وتعزيز حضورها في سورية تصدّرت اهتمامات مراكز الفكر والأبحاث والمؤسسات الإعلامية الأميركية، على السواء.

سيستعرض قسم التحليل ديناميكيات الساحة السورية على ضوء التطورات الجارية، وفي الخلفية الصراع المستدام بين روسيا والولايات المتحدة. روسيا، بحضورها المميّز، تدرك الدروس المكتسبة من التجارب، لعلّ أهمها وعي قادتها لعدم الانجرار إلى ساحة «أفغانية» جديدة، وعدم تكرار الفشل الأميركي المتواصل منذ 15 عاماً في عموم المنطقة.

اعتبر معهد الدراسات الحربية تعزيز روسيا لتواجدها العسكري خطوة تؤشر على انبلاج عصر «جيو – سياسي وأمني جديد، تتخطى أهميته أوضاع المسرح السوري بكثير». وأوضح انّ توافد القوات العسكرية الروسية «بوسعها شنّ عمليات في عموم منطقة الهلال الخصيب وشرقي البحر المتوسط، وتشكل المرة الأولى في التاريخ لإنشاء روسيا قاعدة لاستعراض قوتها خارج آفاق البحر الاسود». وحث المعهد الولايات المتحدة وحلف الناتو «إعداد ردّهما على ذلك التطوّر ويأخذ بعين الاعتبار المخاطر الحقيقية» التي تنطوي عليه.

تناول معهد كاتو مسألة التطورات الميدانية في سورية عبر النظر الى مداولات الأمم المتحدة، لا سيما انّ «كلّ من الولايات المتحدة وروسيا تتشاطران الأهداف عينها – أيّ الحاق الهزيمة بتنظيم داعش». واوضح انّ «مصلحة الطرفين تقتضي استمرار المشاورات بشأن سورية بغية التوصل إلى أرضية مشتركة». وذكّر صنّاع القرار بأنّ «انخراط روسيا في سورية ليس ضاراً بالنسبة الى الولايات المتحدة، نظراً لكونه اشدّ فعالية ضدّ داعش من دور الولايات المتحدة» وما يميّزه من توفر حليف موثوق لها على الأراضي السورية، مشيراً أيضاً إلى «انخفاض معدلات التوتر والعنف شرقي أوكرانيا (بالتزامن) مع انعطافة موسكو لنشر مواردها وقواتها العسكرية في الشرق الاوسط».

التزم معهد كارنيغي السردية الرسمية باعتبار الوجود العسكري لروسيا «ثمرة شعور باليأس، مردّه اعتقاد موسكو بأنّ واشنطن تشكل مصدر عدم الاستقرار في المنطقة». واوضح انّ ذلك الفهم يشكل «قاعدة تحرك الرئيس الروسي ومعارضته القوية للسياسة الأميركية بتغيير الأنظمة» بالقوة.

حث مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية صناع القرار على الخروج من دوامة اللوم وتحميل المسؤولية، والإقرار بأنّ روسيا حققت انقلاباً في تواجدها المكثف في سورية إذ «استطاع الرئيس بوتين قلب السياسة الأميركية على رأسها، وتعقيد الجهود الأميركية لمواجهة داعش بفعالية، وفي نفس الوقت ضمانها أخذ مصالح روسيا بعين الاعتبار في ايّ ترتيبات مستقبلية». وحذر معسكر الحرب من ضرورة الإقرار بأنّ دخول المقاتلات الروسية الحرب «سيقوّض توجهات الولايات المتحدة وتركيا لإنشاء منطقة حظر للطيران، بل فرض دخولها قيام الولايات المتحدة بإعادة انخراطها والتعامل مع روسيا تفادياً لمواجهات جوية مباشرة».

في استعراض منفصل، تناول مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الفشل الذي لحق باستراتيجية واشنطن لمكافحة الإرهاب «على امتداد 15 عاماً». واوضح انّ صعود التيارات المتشدّدة والتكفيرية «ادّى ليس إلى بروز تمرّد وعصيان، بل انتج حرباً أهلية». وأضاف انّ محرك تلك النماذج كان خارجياً «يشمل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي السابق».

اعرب معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى عن اعتقاده بعدم عودة «معظم اللاجئين لسورية قطعاً». واضاف ان التطورات المستقبلية ترجح «استمرارية الحرب واتخاذها نماذج مختلفة وساحات قتال متعددة بين الميليشيات السنية المختلفة». واوضح انّ ديمومة القتال تؤدّي بتوطين اللاجئين في أماكن لجوئهم «ويسهم في عدم عودتهم» لبلادهم.

نتائج الانتخابات السريعة في تركيا كانت محط اهتمام معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى معرباً عن عدم التيقن من قدرة حزب العدالة والتنمية استعادة نسبة 20 في المئة من الأصوات التي خسرها سابقاً، في حزيران الماضي. وقال انّ استمرار الاشتباكات المسلحة لن تخدم «حزب الشعوب الديموقراطي» بالضرورة، كما انّ هبوط قيمة الليرة التركية يفاقم الأزمات المحلية. وخلص بالقول انّ «تكرار النتائج الكارثية في صناديق الانتخابات على حزب العدالة والتنمية أدّى لتصدّع القبضة القوية لرئيس الحزب رجب طيب اردوغان».

سقوط مدينة قندوز في شمال أفغانستان بأيدي طالبان أثار قلق مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ويشكل ثمرة «فشل السياسة الأميركية في افغانستان». واضاف انّ هناك خطأ بيانياً مستقيماً يشير الى «فشل تلو الآخر، منذ مغادرة معظم القوات الأميركية نهاية العام 2014». واستدرك بالقول انّ «الفشل تتحمّله إدارة الرئيس أوباما جزئياً، وسياسات إدارة الرئيس السابق بوش غريبة الأطوار؛ فضلاً عن تقاعس الحكومة الأفغانية توفير قيادة فعّالة في كافة الأبعاد الحيوية». كما حمّل هيئة الأمم المتحدة قسطاً من مسؤولية الفشل كونها «لم تفلح في لعب دور تنسيقي هامّ في ما يتعلق بكافة نواحي المعونات المدنية المقدّمة».

لقاء القمة بين الرئيس أوباما والرئيس الروسي بوتين أثار ارتباكاً في القراءة الأميركية لفحواه، والذي جرى على هامش أعمال الجمعية الأممية، لاعتبارات متعدّدة تتراوح بين عدم تيقنها من أهداف روسيا المنظورة والمضمرة، والتحذير من مغبة القبول بمنافسة دولية ندية للولايات المتحدة وترسيخ تعدد القطبية.

استكانت الولايات المتحدة لمركزها النافذ والمسيطر عبر قوتها العسكرية على مراكز منطقة الشرق الأوسط الرئيسة، لما ينوف عن ربع قرن متواصل، لا سيما إزاحتها النفوذ الروسي من العراق وليبيا، نتيجة العدوان العسكري المباشر.

وفجأة تغيّر المشهد وتبادل الطرفان المواقع: روسيا تتقدّم بقوة وثبات، والولايات المتحدة تترنّح وتعيد مواقع تموضعها على الصعيد العالمي، والبعض رآه انكفاء وشبه انسحاب لها من المنطقة. وما عزز الشكوك التقليدية موافقة واشنطن على سحب بطاريات حلف الناتو من الباتريوت من الأراضي التركية والتعويض عنها بطائرات مقاتلة إضافية ترابط في منطقة ديار بكر. الرؤية الاقليمية للولايات المتحدة انحدرت طردياً ايضاً، وأضحت واشنطن «غير قادرة» على التدخل لحماية وكلائها المحليين كيفما ومتى رغبوا.

الاعترافات الأميركية الرسمية وإقرارها بفشل برامجها لتجنيد وتدريب «معارضة سورية معتدلة»، لم تسعف صورتها التي تحوّلت الى مصدر فكاهة وتندّر، وخاصة بعد إنفاقها ما لا يقلّ عن 500 مليون دولار لم تحصد سوى «4 الى 5» عناصر، فقط لا غير.

تجدر الإشارة في هذا الصدد الى «الغضب والحنق» الأميركيين من «استهتار» الجانب الروسي وإبلاغ عسكرييه ضرورة إخلاء الأجواء السورية خلال ساعة واحدة، تفادياً للصدام العسكري الجوي بينهما. أميركا اعتادت تطبيق الأسلوب عينه على أطراف اخرى «أقلّ أهمية»، وليس الانصياع لتطبيقه حرفياً.

تحوّلات بنيوية في الشرق الأوسط

«اضطراب» الخطاب السياسي الأميركي أوردته شهرية «فورين أفيرز» الرصينة، في سياق تغطيتها البارزة للقاء أوباما – بوتين، مؤكدة انّ «الرئيسين يتشاطران الكراهية لبعضهما؛» معربة أيضاً عن استمرار التوتر بينهما وعدم توصلهما لقراءة مشتركة لحلّ الأزمة السورية. الرئيس الروسي شدّد بدوره على الضرورة القصوى للتعاطي مع الرئيس السوري والتنسيق معه حصراً في محاربة الارهاب؛ بينما مضى خطاب الرئيس أوباما في تكرار الموقف السابق بـ«فقدان الرئيس الاسد الشرعية، وليس من الحكمة العودة إلى الأوضاع السابقة».

ولفت أنصار معسكر الحرب الأنظار الى «التغيير» الذي طرأ على لهجة الخطاب الأميركي، قبل وبعد اللقاء، اذ حذرت الإدارة الأميركية «قبل أسبوعين من حتمية فشل التدخل الروسي في سورية»، الى ان تمّ قبوله «بل الترحيب به لمقارعة الدولة الإسلامية». وثارت ثائرة قادة الكونغرس «لتقدّم بوتين واتخاذه زمام المبادرة والسيطرة على سورية».

الاستراتيجية الأميركية في سورية أضحت في وضع لا تحسد عليه من الارتباك وإهدار الموارد، كما اتهمها قادة كبار في الكونغرس. وأشار أولئك الى جهود داعش تجنيد «أكثر من 7.000 مقاتل أجنبي في صفوفه خلال الأشهر الثلاثة الماضية فقط»، حسبما جاء في تقرير مفصل للكونغرس. واعتبر قادة الكونغرس أنّ ذلك التطور «لم يسبق له مثيل في التاريخ، وغير مسبوق كذلك في السلبية المفرطة للسياسة الأميركية».

دأبت السياسة الأميركية على رفع سقف توقعاتها منذ زمن، خاصة في ما يتعلق بمستقبل الرئيس الأسد، وفق وصفها، ونيّتها المعلنة بالإطاحة به. وجاء التحرك الروسي القوي «دعماً للرئيس الأسد، والإعداد لتعزيز حضور عسكري لإيران في سورية». بعبارة أخرى، الوضع الراهن في سورية جاء ثمرة مناورات ديبلوماسية بين القوتين العظميين في أروقة الأمم المتحدة رجحت فيها كفة المبادرة الروسية.

المراجعة الأميركية الهادئة لسبر أغوار التحرك الروسي «المفاجئ» جاءت على لسان أحد أهمّ الخبراء الاستراتيجيين والمقرّبين من الدوائر العسكرية والاستخبارية، انثوني كوردسمان من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، 2 تشرين الأول الحالي. واوضح كورسمان انّ نقطة التحوّل في التفكير الروسي كانت ثمرة لقاء مكثف استضافته وزارة الدفاع الروسية يوم 23 أيار 2014، شارك فيه عدد من القادة العسكريين الكبار من روسيا وروسيا البيضاء.

واضاف كوردسمان انّ المؤتمر أسفر عن خروج موسكو باستنتاجات غير معهودة لقراءاتها الخاصة «بالاستراتيجية الأميركية والأوروبية (وجهوزيتها) استخدام قوتها العسكرية، وكذلك للأهداف والقرارات الأميركية والأوروبية المطبّقة في الغرب او في ما ورد سابقاً في الأدبيات الروسية».

وأسهب كوردسمان في توصيف تأثير «الثورات الملونة»، المدعومة أميركياً واوروبياً، على زعزعة استقرار النظم السياسية المحاذية لروسيا: اوكرانيا 2004؛ كيرغيستان 2005؛ جورجيا 2012. وخلص بالقول انّ الخلاصة الإجمالية للمؤتمر المذكور رسّخت فهماً متطوراً للقيادة الروسية حول «توجهات الولايات المتحدة وأوروبا العدوانية والتي استندت الى استحداث اضطرابات بصورة ثورات تزعزع استقرار الدول المستهدفة خدمة للمصالح الأمنية (الغربية) بكلفة مالية متدنية وبأقلّ قدر من الخسائر البشرية».

وحذر كوردسمان صناع القرار في الولايات المتحدة وأوروبا «النظر الى ما هو أبعد من التكهّن واستقراء دوافع الرئيس بوتين والتركيز على ما صدر عن الاستراتيجيين والعسكريين الروس، حول توظيف الثورات الملونة، ومن غير المسموح التغاضي عنها في القراءة الأميركية والأوروبية».

وعليه، أقرّت الدوائر الأميركية انها أضحت بمواجهة توجه روسي جديد في الاستراتيجية والخطاب، جسّد نتائجه على الفور بقصف مركز على مواقع وتجمّعات العناصر المسلحة في سورية، بخلاف القصف الأميركي وحلف الناتو الذي لم يثبت استهدافه لأيّ من تلك التجمّعات او مراكز قياداتها – بشهادة المصادر الأميركية. وساد الذهول الدوائر الأميركية لأسلوب روسيا المهين للجانب الأميركي وإبلاغه نيتها بدء القصف قبل ستين (60) دقيقة من الساعة الصفر.

جذر قلق الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين من القصف الروسي يكمن في إعادة موسكو ترتيب أولويات الصراع، الذي كان يُدار بالواسطة وعبر الوكلاء المحليين وبروزه الى مرتبة صراع دولي تشترك فيه القوتين العظميين مباشرة. كما يعود القلق إلى سعي واشنطن إعادة تأهيل تنظيم «القاعدة» بجناحه السوري – «جبهة النصرة» – وتسويقه كمعارضة معتدلة وحجز مقعد ودور له في جولة المفاوضات السياسية المقبلة. واستهدف القصف الروسي تلك التشكيلات المدعومة من أجهزة الاستخبارات الأميركية، لا سيما ما كان يُسمّى «الجيش الحر»، مما أثار حفيظة الرئيس أوباما ودائرة مستشاريه المقرّبين لانكشاف الغشاء السياسي والغطاء الديبلوماسي والعسكري.

ليس خافياً على الطرفين، الأميركي والروسي، أبعاد ومعاني دخول روسيا المباشر في دائرة القتال وما سيتركه من تداعيات تقوّض النفوذ والدعم الأميركي للوكلاء الإقليميين والتشكيلات القتالية المختلفة.

أشار تقرير كوردسمان «الاستراتيجي» في خلفيته الى العلاقة الحسابية الطردية الجديدة في سورية: تقدّم روسيا مقابل تراجع الدور الأميركي في المنطقة، كرّسه قرار البرلمان الروسي (الدوما) الموافقة على اشتراك القوات الروسية في حرب مباشرة خارج أراضي الدولة، مما عزز قلق الدول الغربية من خطاب موسكو على انّ «التدخل الروسي يستند الى أرضية شرعية حصراً، وبطلب من الحكومة والرئيس السوري».

التدقيق في ثنايا الخطابين السياسيين، الأميركي والروسي، يؤدّي الى شبه تطابق او رؤى للحل المنشود في سورية. دأب كلّ من الرئيس أوباما ووزير خارجيته جون كيري على الترويج لحل سياسي تفاوضي، تبعته لاحقاً عبارة مرحلة انتقالية «بمشاركة الرئيس الاسد». اما الرئيس الروسي فقد أوضح في خطابه امام الجمعية العامة انّ «الحلّ طويل الأجل في سورية لا يمكن ان يتأتّى الا عبر إصلاحات سياسية تستند الى مفاوضات» بين الأطراف المختلفة. واضاف ليقطع الشك باليقين «أدرك أنّ الرئيس الاسد يعي ذل